# خصائص النبوة (دراسة في النقد الديني)

م.د. جاسم هاتو فاخر الموسوي

جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

# Features of Prophecy (A Study in Religious Criticism)

**Lect. Dr. Jassim Hato Fakher Al-Mosawi**

**College of Basic Education/ University of Babylon**

Alimusawi358@yahoo.com

**Abstract**

Characteristics of prophecy (A Study in Religious Criticism) The current article is concerned with discussing the issues that are prepared by the agreement of Muslims on the peculiarities of prophecy, in the form of substantive religious analysis and criticism.

النبوة سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده؛ لتدبير حياتهم في أمر معاشهم ومعادهم، والنبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفة، والاعتقاد بأن الله سبحانه قد بعث أنبياء ورسلا، لترسيخ التوحيد بين الناس وشجب أي عبادة سواه، يعتبر من عناصر الإيمان الأساسية. وقد ذكر المتكلمون جملة من الأمور التي اختص بها الأنبياء عمّا سواهم من البشر، حيث سنسلط الضوء في هذا المقال على مهمات هذه الخصائص:

**الكلمات المفتاحية:** النبوة، الوحي، العلم اللدني، الغيب، العصمة.

**المقدمة**

النبوة في اللغة لها عدّة معاني، لكن اصطلح علماء العقيدة على معنى خاص لم يبتعد كثيراً عن معناها اللغوي، وإليك حاصل الكلام فيهما:

أولاً: المعنى اللغوي: ذكر علماء اللغة للنبوة عدّة معاني:

أ . إن لفظ النبي مأخوذ من النبأ، بمعنى الخبر، والنبي هو: المخبر عن الله تعالى، وسمى بذلك لأنّ عنده نبأ الغيب بوحي من الله تعالى [الصحاح، الجوهري، ج١، ص٧٤، مادة (نبأ)].

ب . إن لفظ النبي مأخوذ من النَبْوة بمعنى الرفعة، سمي به لرفعة قدره [لسان العرب، ابن منظور، ج١٥، ص٣٠١، مادة (نبا)].

ج . إن لفظ النبي مأخوذ من النبئ بمعنى الطريق، سمي به لأنه الطريق إلى الله تعالى [تاج العروس، الزبيدي، ج١، ص٢٥٧، مادة (نبأ)].

ثانياً: المعنى الاصطلاحي: أُستعمل النبي في اصطلاح علماء الكلام بمعنى الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر وإنّما بواسطة الوحي، أعم من أن يكون له شريعة كنبينا محمد صلى الله عليه واله أو ليس له شريعة كنبي الله يحيى عليه السلام، وأعم من أن يكون مأمور من الله تعالى بتبليغ الأوامر والنواهي إلى قوم أم لا، قال الشيخ المفيد: >**النبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر**< [النكت الاعتقادية، ص٣٤، وانظر: المسلك في أصول الدين، المحقق الحلي، ص١٥٣].

فقد أخرج بقيد (الإنسان) و (البشري ) الملك، وأخرج بقيد (المخبر عن الله تعالى) المخبر عن غيره تعالى، وأخرج بقيد (عدم واسطة بشر) الإمام والعالم، فإنهما مخبران عن الله تعالى بواسطة النبي الاكرم، وبما ذكرنا من قيد الوحي يخرج المحدَّث كسيدتنا فاطمة الزهراء.

والوحي نوع تكليم إلهي تتوقف عليه النبوة، قال تعالى: {**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ**} [النساء/ ١٦٢]، وسيأتي الكلام عنه لاحقاً.

وقد درج علماء الكلام على تقسيم مباحث النبوة إلى قسمين، هما النبوة العامّة، والنبوة الخاصّة، حيث يبحث في القسم الأول المسائل المشتركة بين الأنبياء، ويبحث في القسم الثاني المسائل المختصة بنبي محدد، والوجه في هذا التقسيم هو التفريق بين المسائل العامة والخاصة حتى لا تختلط ببعضها، وهو أمر معقول لدى علماء الكلام الذين يعتقدون بتعدد الأنبياء من جهة، ويتبعون رسولاً محدداً من جهة أُخرى.

وأهم مسائل النبوة العامة هي مسألة خصائص النبوة، وأهم هذه الخصائص هي عبارة عن:

**الخصوصية الأولى: الوحي الإلهي**

الله تعالى بعث الأنبياء لهداية الإنسان للكمال والسعادة الحقيقية من خلال وضع المعارف والقوانين التي يحتاجون إليها بين أيديهم، فيكمُل من خلال ذلك المدركات العقلية، وأساساً يعدّ إبلاغ التعاليم الدينية للبشر أهم وظائف الأنبياء، وبديهي أنّ هذا الإبلاغ مسبوق بمعرفة شخص النبي بهذه التعاليم، فبادئ ذي بدء يجب وقوف النبي على هذه المعارف ومن ثَمّ يقوم بإبلاغها للناس، والسؤال المطروح هنا: ما هو منبع ومصدر هذه المعارف؟

فهل يصل النبي من طريق الفكر الشخصي إلى المعارف التي يؤمَر بإبلاغها أم أنّه يصل إليها من طريق التعليم والمطالعة في آثار المتقدمين؟ الحق أنّ كلا هذين الطريقين أو غيرها من طرق المعرفة البشرية (الحس، التجربة، العقل) ليست هي مصدر معارف النبوة، فالأنبياء لا يستفيدون من أساليب الفكر المعروفة للحصول على هذه المعارف بل مبدأ تعاليم الأنبياء هو إدراك خاص يُعرف بالوحي، وهذا الإدراك الوحياني الخاص هو أهم خصائصهم.

**الوحي في اللغة والاصطلاح**

الوحي في اللغة يعني الإشارة السريعة، سواء بالكلام الخافت أو الصوت الخالي من التراكيب الكلامية أو الإشارة بالأعضاء . العين أو اليد أو الرأس . أو بالكتابة(١).

قال الراغب الأصفهاني: >**أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة**< [مفردات غريب القرآن، ص٥١٥] .

وأما في الاصطلاح فتستخدم هذه الكلمة (الوحي) للارتباط الخاص والسريع للأنبياء مع عالم الغيب وذات الخالق المقدسة، وهي بهذا المعنى لا تبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي.

قال الشيخ المفيد: >**أصل الوحي هو الكلام الخفي ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره و التخصيص له به دون من سواه و إذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل ص خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام و شريعة النبي**< [تصحيح اعتقادات الإمامية، ص١٢٠].

**ما هو الوحي (حقيقة الوحي)؟**

مسألة الوحي من المسائل المهمة لمبحث النبوة العامّة، وبالرغم من أهميتها الخاصّة لكن لم يعطها المتكلمون حقها من البحث خصوصاً القدماء، فأُهملت بشكل كامل في بعض المتون الكلامية واكتفى بتعريفها في بعض المتون الأُخرى.

والواقع أنّ حقيقة الوحي غير معروفة لنا؛ لأنّ هذا النوع من الإدراك والمعرفة من خصائص الإنسان الخاص المصطفى (النبي)، ولا طريق إليه بالنسبة للبشر العادي، فلا يستطيع الحصول على أي تجربة فيه، فمثلنا ومثل الأنبياء في فهم حقيقة الوحي حال الأعمى والبصير في فهم الألوان، فمثلنا كمثل الأعمى الذي يريد فهم الألوان، ومثل الأنبياء كمثل البصير الذي يشاهد الألوان، فكما أنّ الأعمى لا يستطيع إلا تصور الألوان بشكل مبهم من خلال بعض المفاهيم كذلك نحن أيضاً لا يمكننا فهم الوحي إلا بشكل مختصر حيث يمكن من خلال بعض المفاهيم الوقوف على جملة من الأبعاد والخصوصيات للإدراك الوحياني دون الوصول إلى حقيقته.

وعليه، فقد عرفوا الوحي بأنّه عبارة عن نوع من الإدراك الخاص المختلف عن المدرَكات البشرية العادية بشكل كامل، فلا يحصل عن طريق الحسّ والتجربة والعقل والفكر وأمثالها بل أن الله تعالى من خلال هذا الإدراك الخاص يُلقي الحقائق والمعارف الدينية لشخص النبي، ولا

---

(١) عن بعض اللغويين أنّه الكلام الخفي والإعلام بخفاء بطريق من الطرق، قال ابن منظور: >الوحي الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت. ووحى وحيا وأوحى أيضاً أي كتب..< [لسان العرب، ج١٥ ص٣٧٩]. وحكى عن الأزهري في بيان معنى الوحي في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ}، قال: >الوحي هاهنا إلقاء الله في قلبها، قال: وما بعد هذا يدل، والله أعلم، على أنه وحي من الله على جهة الإعلام..< [المصدر نفسه، ص٣٨٠].

يخطأ النبي ولا يشك ولا يتردد في هذا التلقي مطلقاً(١).

نعم يحصل هذا الإدراك الخاص للنبي بطرق مختلفة كما سيتأتي لاحقاً.

**طرق حصول الوحي للأنبياء**

طرق ارتباط الأنبياء بالخالق بواسطة الوحي تكون على أشكال مختلفة، فأحياناً يكون بالإيحاء كما في قوله تعالى: **{فَأَوْحَيْنَا إليه أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}** [المؤمنون/ ٢٧]، وأحياناً يكون من وراء حجاب كما في قوله تعالى: **{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}** [النساء/ ١٦٥]، وخلق الكلام في الشجرة من هذا القبيل، وأحياناً أخرى يكون بإرسال الرسول كما في قوله تعالى: **{ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ}** [البقرة/ ٩٧]، وهذا يعتبر الطريق الرئيسي للوحي، وهناك طريق آخر خاص وهو أثقل أنواع الوحي وهو الوحي بشكل مباشر بين الله تعالى ونبيه.

ثم إن هذه الطرق لها فروع بحدّ ذاتها، فمثلاً ملك الوحي تارة يقوم بإلقاء الوحي إلى روح النبي وقلبه دون أن يتجسد أمامه، وتارة أخرى يتجسد بصورة إنسان، وتارة ثالثة يتجسد ملك الوحي جبرائيل بصورته التي خلقه الله تعالى عليها، وقد حدث ذلك .كما يروى مرتين للنبي الكريم صلى الله عليه واله [التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٢٦٣].

**الوحي في القرآن الكريم**

استعمل الوحي في القرآن الكريم بمعاني عديدة:

أ . وحي الرسالة والنبوة: قال تعالى: **{إِنَّا أَوْحَيْنَا إليكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإْسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ}** [النساء/ ١٦٣].

ب . الإلهام: أُستعمل الوحي في القرآن الكريم بمعنى الإلهام، قال تعالى: **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}** [النحل/ ٦٨].

ج . الإشارة: أُستعمل الوحي في القرآن الكريم بمعنى الإشارة، قال تعالى: **{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إليهمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}** [مريم/ ١١].

د . التقدير: أُستعمل الوحي في القرآن الكريم بمعنى التقدير، قال تعالى: **{وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا}** [فصلت/ ١٢].

هـ . الأمر: أُستعمل الوحي في القرآن الكريم بمعنى الأمر، قال تعالى: **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي}** [المائدة/ ١١١].

و . الإخبار: أُستعمل الوحي في القرآن الكريم بمعنى الإخبار، قال تعالى: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إليهمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}** [السجدة/ ٢٤].

**أنواع الوحي**

يستنتج من خلال ما تقدم في الموارد التي استعمل فيها الوحي ومشتقاته أنّ الوحي الإلهي على نوعين، يمكن إجمالهما كالآتي:

أ . الوحي التشريعي: هو ما كان ينزل على الأنبياء والرسل ويمثل العلاقة الخاصة بينهم وبين الخالق عز وجل، حيث كانوا يستلمون الأوامر الإلهية والحق والمعارف الربانية من هذا الطريق.

ب . الوحي التكويني: حقيقته وجود النواميس التكوينية والغرائز والقابليات والشروط والقوانين التكوينية الخاصة التي أوجدها الخالق في أعماق جميع الكائنات في هذا العالم.

**التفاسير الطبيعية للوحي**

الوحي ظاهرة ترتبط بما وراء الطبيعة، وطريق خاص لارتباط الله تعالى بأنبيائه إلا أنّ جماعة من المفكرين طرحوا تفسيراً آخراً لهذه

(١) الفلاسفة المشاؤون بحسب مبانيهم الفلسفية لديهم تحليل خاص للإدراك الوحياني، فهم يرون أن العقل الفعال الذي هو آخر العقول المجردة في السلسلة النزولية للعقول هو مخزن تمام العلوم والمعارف، وتقع على عاتق هذا العقل مسؤولية إفاضة الصور العينية والعلمية على عالم المادة، والأنبياء بدليل قوة وكمال نفوسهم يرتبطون بالعقل الفعال ويتلقون الحقائق، فحقيقة الوحي عند هؤلاء الفلاسفة هو نفس تلقي الحقائق من العقل الفعال، نعم يكون ذلك كله بإذن الله تعالى ومشيئته حيث تتجلى تلك الحقائق للأنبياء بحسب مراتب نفوسهم وقوتها على شكل معارف وصور وأصوات.

الظاهرة غير خارج عن إطار عالَم الطبيعة.

فعدوها معلول لشخصية النبي:

فقال بعضهم: إنّ الأنبياء هم أكبر نوابغ التاريخ، ونبوغهم اللا محدود هو سبب الحلول البديعة التي وضعوها لمشاكل المجتمع بعد مدّة من الفكر والتأمل في أوضاعه.

فجعلوا هذه الأفكار والآراء المعلولة لفكرهم في قالب التعاليم الدينية؛ ليسهل تقبلها.

وقال بعض آخر منهم متوسلين بالتطور الملحوظ في علوم النفس: إنّ الوحي ليس إلا ظهور الإحساس الباطني والضمير اللاشعوري للأنبياء في قالب الألفاظ والصور الخاصة.

ولعل عرض هذه الأقوال ونقدها بحاجة إلى مجال أوسع لكن الأمر الذي نريد التأكيد عليه هنا هو أنّ هذه الآراء الباطلة في تفسير الوحي لا تمت للواقع بشئ وتتقاطع بشكل كامل مع الآيات الكثيرة والروايات المتعددة في المورد التي أكدت على أنّ الوحي الذي يختص به الأنبياء إدراك خاص متميز عن سائر الإدراكات، وأنه ليس من نتاج الحس ولا العقل ولا الغريزة، إنما هو شعور خاص يوجده الله تعالى في الأنبياء، وهو شعور يغاير الشعور الفكري المشترك بين أفراد الإنسان عامة، لا يغلط معه النبي في إدراكه ولا يشتبه ولا يختلجه شك ولا يعترضه ريب في أن الذي يوحي إليه هو الله سبحانه، من غير أن يحتاج إلى إعمال نظر أو التماس دليل أو إقامة حجة، قال تعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ}** [الشعراء/ ١٩٣]، فالآية تشير إلى أن الذي يتلقى الوحي من الروح الأمين هو النفس الطاهرة للنبي الكريم٬ من غير مشاركة الحواس الظاهرة التي تستعمل كأدوات في المدركات الجزئية.

فالوحي نتاج الاتصال بعالم الغيب، ولا يصح تحليله بأدوات المعرفة ولا بأصول ومبتنيات العلوم الحديثة، ومن لم يذعن بعالم الغيب يصعب عليه الإذعان بهذا الإدراك الذي لا صلة له بعالم المادة وقوانينه وأصوله.

**إمكان الوحي**

الوحي بالالتفات لما تقدم في بيانه نوع من الارتباط الخاص بين الإنسان الموجود في عالَم الطبيعة وبين ما وراء الطبيعة، حيث تنتقل من خلال هذا الارتباط الحقائق من العوالم العلوية إلى النبي.

وقد تُطرح باعتبار هذا البيان للوحي الشبهة التالية: أنّ الوحي بهذا المعنى أمر غير ممكن؛ لأنّ حصول أي ارتباط يُلحظ فيه التناسب والسنخية بين الطرفين، ولا تناسب ولا سنخية بين الإنسان وما وراء الطبيعة.

والجواب عن هذه الشبهة: سيأتي في محله من مباحث المعاد أنّ الإنسان ليس موجوداً مادياً طبيعياً محضاً بل مضافاً لهذا البُعد المادي هناك بُعد آخر غير مادي (مجرد)(١)، ووجود هذه المساحة المنزهة عن المادة في الإنسان التي هي الروح المجردة تهيئ الأرضية المناسبة للاتصال بما وراء الطبيعة والعوالم غير المادية.

لكن ينبغي هنا عدم الغفلة عن أنّ مجرد تجرد الروح الإنسانية غير كافي في تلقي الوحي بل هو بحاجة إلى روح إنسانية طاهرة في غاية القوة والكمال، وهذا هو الوجه في اختصاص الوحي بالأنبياء؛ إذ أنّ الآخرين ليس لديهم الاستعداد الروحي المناسب لتلقي الوحي.

**الخصوصية الثانية: العلم اللدّني**

الخصوصية الثانية من خصائص الأنبياء التي تميزهم عن سائر الناس هي علومهم ومعارفهم الخاصة، وهذه إشارة مختصرة لها:

**معنى العلم اللدّني**

---

(١) اتفق الحكماء وجماعة من علماء الإمامية ونحاريرهم على أنّ النفس روحانية البقاء بعد اختلافهم في حدوثها، حيث يعتقد صدر المتألهين وأتباع فلسفته (الحكمة المتعالية) بأنّها جسمانية الحدوث وروحانية البقاء، واشتهر عن الإشراقيين والمشائين القول بأنها روحانية الحدوث أيضاً إلا أنّ الإشراقيين قالوا بقدمها وأمّا المشاؤون فقالوا بحدوثها بمجرد حدوث البدن القابل لتعلق الروح به، ولهم أدلة وافية على تجرد النفس لا مجال لذكرها، لكن ننبه بشكل إجمالي على أنّ عقيدة صدر المتألهين في المورد هو وجه الجمع بين ظواهر الآيات والأخبار التي تدل على تجسم النفس وبين الأدلة العقلية الدالة جزماً على تجردها، ولعل هذا من الموارد النادرة التي طابق فيها رأيه ظواهر الآيات والأخبار.

يطلق على علم الأنبياء باعتبار المنبع مسمى (العلم اللدّني) أي الموهوب بمعنى أنه علم يوهب لهم صلوات الله عليهم من طرف المولى تعالى بشكل مستقيم ودفعي أعني من دون المقدمات المتعارفة في كسب العلم وتحصيله.

وكما يختلف علم الأنبياء عن العلوم البشرية المتعارفة من حيث المصدر والكيفية كذلك يختلف عنها من حيث السعة، مضافاً إلى أنّ علومهم عليهم السلام غير قابلة للخطأ بخلاف المعارف البشرية فهي قابلة للخطأ وتتكامل بشكل تدريجي، فالأنبياء عليهم السلام أعلم الناس بل لا يمكن قياس أحد معهم كماً وكيفاً.

**مصادر علوم الأنبياء**

هناك مصادر خاصّة لعلوم الأنبياء، وقد نصّت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على جملة من هذه المنابع التي لا تصل إليها أيدي الناس العاديين، وهذه المنابع عبارة عن:

أ . الوحي: هذا هو المصدر الأساسي لعلوم الأنبياء ومعارفهم، وقد تقدمت الإشارة إليه بشكل مختصر في النقطة الآنفة.

ب . الارتباط بما وراء الطبيعة: المصدر الآخر لعلوم الأنبياء هو اتصالهم الخاص بعوالم ما وراء الطبيعة، حيث ترفع الحُجب من خلال هذا الاتصال عن الحقائق التي ما وراء الطبيعة، قال تعال حكاية عن النبي إبراهيم عليه السلام: **{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}** [الانعام/ ٧٥].

ج . روح القدس: المصدر الآخر من مصادر علوم الأنبياء هو (روح القدس)، وهو ملك عظيم الشأن مرافق لهم صلوات الله تعالى عليهم يلُقي العلم والمعرفة، قال سبحانه حكاية عن النبي عيسى عليه السلام: **{وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}** [البقرة/ ٨٧].

د . التوارث: المصدر الرابع من مصادر علوم الأنبياء ومعارفهم هو الإرث حيث يرث النبي العلم والمعرفة عن النبي السابق، قال تعالى حكاية عن النبي سليمان: **{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}** [النمل/ ١٦].

يرى جمع من المفسرين أن الإرث في الآية الكريمة يشمل علوم داود عليه السلام الخاصة حيث ورثها عنه ابنه سليمان عليه السلام، وفي الروايات المروية من طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام أن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله قد ورث علوم جميع الأنبياء عليهم السلام، ففي الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: >**أما إنّ محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين**< [الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ٢٢٤].

**العلم بالغيب**

إنّ مسألة علم الغيب من المسائل المهمة التي ينبغي بحثها بشكل وافي؛ لحساسيتها وخصوصيتها؛ ولذا سنبيّن حيثيّة هذا العلم وآليّاته وأبعاده وحدوده ونحوها من المسائل المتعلّقة بذلك:

**أ . معنى الغيب في اللغة والاصطلاح**

الغيب في اللغة مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين، يُقال غاب عنّي كذا، واستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة وعمّا يغيب عن علم الإنسان [المفردات في غريب القرآن، ص٣٣٦، مادّة (غيب). لسان العرب، ج١٠ ص١٥١، مادّة (غيب)].

وقد استعمل في القرآن الكريم بمعناه اللغويّ كما في قوله تعالى: {أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} [النمل/ ٢٠].

ويقابله الشهادة وهي الحضور مقترناً بالمشاهدة، سواء بالعين الظاهرة أو بعين البصيرة [المفردات في غريب القرآن، ص٢٦٧، مادّة (شهد). روح المعاني، الآلوسي، ج٣ ص١١٠. تفسير الميزان، الطباطبائي، ج١، ص٤٥].

واستعمل بهذا المعنى في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الرعد/ ٩].

والغيب والشهادة من المعاني الإضافيّة، فإنّ الشيء الواحد قد يكون غيباً بالنسبة إلى شيء؛ لأنّه خارج عن دائرة رؤيته ومعرفته، ويكون نفس ذلك الشيء شهادة لآخر؛ لأنّه مشهودٌ له، ومردّ ذلك إلى كون الأشياء لها حدود لا تنفكّ عنها، فما كان خارجاً عن حدّ الشيء لا يكون مشهوداً

له فيكون غيباً بالنسبة إليه، وما كان داخلاً في حدّ الشيء فهو شهادة بالنسبة إليه ومشهودٌ له.

ومن أهمّ النتائج المترتّبة على هذه الحقيقة، أنّه لا يوجد هناك شيء يكون غيباً بالنسبة له تعالى، وذلك لأنّه بعدما ثبت في أبحاث التوحيد أنّ الله تعالى عالم بكلّ شيء ومحيط بكلّ شيء، لا يشذّ عن علمه شيء من الأشياء، فلا يقع شيء خارج عن علمه، فعلى هذا فلا معنى لأن يكون شيء من الأشياء غيباً بالنسبة إليه تعالى، فكلّ ما هو موجود فهو داخل في دائرة إحاطته وإن فرض أنّ ذلك الشيء غيب بالنسبة إلى غيره؛ قال تعالى: {**أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ**} [فصّلت/ ٥٤]، وقال تعالى: {**أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [البقرة/ ٢٣١].

**ب . أقسام الغيب**

ذُكر للغيب قسمان لعل معرفتهما يعدّ الأساس لحل كثير من الإشكاليات في المورد:

الأول: العلم بالغيب بالذات (الاستقلال)، وهو انكشاف واقع الأشياء ذاتاً للعالِم، دون الحاجة إلى الاستعانة بأي شيء آخر، وإنما مقتضى وجوده هو أن لا يخفى عليه شيء من خفيات الأمور كائنة ما كانت، وهذا هو العلم بالغيب الحقيقي، قال الشيخ المفيد: >**الوصف بذلك [العلم بالغيب] إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا الله عز وجل**< [أوائل المقالات، ص٦٧].

الثاني: العلم بالغيب بالغير (التبعية)، وهو انكشاف واقع الأشياء للعالِم، بالغير وبالتبع، فهو بمقتضى وجوده غير مجهز للعلم بخفيات الأمور، فليس له أي استقلال بالعلم بالغير، وإنما يعلمه بواسطة تعليم العالِم بالغيب بالذات له، واطلاق علم الغيب على هذا القسم فيه نوع من المسامحة؛ لظهور علم الغيب في العلم الاستقلالي لا ما كان بإعلام الله تعالى، مضافاً إلى أنه بعد علم بعض الرسل به يكون قد خرج عن وصف الغيب وأصبح مشهوداً لهؤلاء الرسل، نعم هو غيب بالنسبة لغيرهم، وقد تقدم أن الغيب والشهادة من المعاني الإضافيّة [المصدر السابق نفسه].

ويتضح من خلال ما تقدم أن الفرق الأساسي بين الغيب الذاتي والغيب التبعي هو الاستقلال والتبعية، فالعالِم بالغيب بالذات يكون مستقلاً في علمه بمقتضٍ وجوده، والعالِم بالغيب بالغير ليس مستقلاً في علمه بمقتضى وجوده أيضاً وإنما هو تابع فيه، بمعنى أنه يعلمه عن طريق تعليم العالم بالغيب بالذات له.

**ج . اختصاص الله تعالى بالعلم بالغيب**

يختص الله تعالى بالعلم بالغيب بالذات، فعلم الغيب الحقيقي (وهو الغيب بالذات) مختص بالله تعالى فقط، فلا يعلم غيره تعالى من الغيب شيئاً، نعم قد أفاض تعالى من خزائن غيبه على خاصّة من عباده أموراً من الغيب، لكن اطلاق الغيب على هذه الأمور بعد هذه الإفاضة فيه نوع من المسامحة.

وهناك أدلة كثيرة من القرآن الكريم دلّت بشكل صريح على انحصار علم الغيب بالله تعالى، كقوله تعالى: {**إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ**} [يونس/ ٢٠]، وقوله تعالى: {**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**} [الجن/ ٢٦]، وقوله تعالى: {**لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**} [النمل/ ٦٥]، وغير ذلك من الآيات الكريمة البيّنة في انحصار العلم بالغيب بالله تعالى.

**د . الأنبياء والعلم بالغيب**

إنّ الثابت بنصّ القرآن الكريم والسنة المتواترة علم بعض الأنبياء والرسل عليهم السلام ببعض الموارد من الغيب بواسطة الوحي وبتعليم الله تعالى لهم، وتقدم أن هناك مسامحة في إطلاق الغيب على هذا القسم وأن حقيقة الغيب هو الذي بالذات فقط، وقد دلت الآيات الكريمة بشكل صريح على علم الأنبياء والرسل ببعض الأمور الغيبية:

منها: آيات الاجتباء والرضا، كقوله تعالى: {**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ**} [آل عمران/ ١٧٩]، وقوله تعالى: {**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**} [الجن/ ٢٦ . ٢٨].

فهذه الآيات الكريمة بيّنة في أن علم الغيب مما استأثر الله به نفسه، فلا يطلع عليه أحدا إلا من اجتبى من رسله، فإنه ربما أطلعه عليه بالوحي، وأنّه تعالى يظهر الغيب لمن ارتضى من رسول، فجعل تعالى علم غيره بالغيب منتهيا إلى الوحي.

ومنها: آيات الإحاطة: كقوله تعالى: {**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**} [البقرة/ ٢٥٥]، حيث يكشف هذا الاستثناء عن إحاطة بعض العباد بشيء من العلم بالغيب بإذن الله تعالى ومشيئته، فله تعالى تمام الإحاطة الربوبية والسلطة الإلهية، وهو تعالى عالم محيط بهم

وبعلمهم، وهم لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء.

وقد أخبر تعالى عن جملة من الذين أطلعهم وأحاطهم ببعض علمه تعالى بالغيب؛ كرسول الله صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى مخاطباً له: **{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ}** [آل عمران/ ٤٤]، ومن جملة الذين أخبر تعالى عن اطلاعهم وإحاطتهم ببعض علمه تعالى بالغيب هو عيسى عليه السلام ، حيث قال تعالى حكاية عنه: **{وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ}** [آل عمران/ ٤٩]، فإخباره عليه السلام ما يدّخرون في بيوتهم وما يأكلون من أوضح مصاديق الإخبار عن الغيب، إلى غير ذلك من الموارد الأُخرى.

وقد دلّت الأحاديث المتعددة المروية من طرق أئمة أهل البيت على علم الأنبياء بالغيب التبعي، منها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح إلى سدير الصيرفي، أنه سمع حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام عن قوله جل ذكره: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا}**، فقال أبو جعفر عليه السلام: >**{إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ}، وكان والله محمد ممن ارتضاه**< [الكافي، ج١، ص٢٥٦، باب نادر (فيه ذكر الغيب)].

**الخصوصية الثالثة: العصمة**

اتفقت كلمة المسلمين على جعل عصمة أنبياء الله تعالى كمبدأ وعقيدة من صلب الإسلام، إلاّ أنهم اختلفوا في مفهومها وحدودها ومصداقها، ومن هنا يكتسب البحث عنها أهمية خاصة؛ لإرتباطة الوثيق بأصل فلسفة النبوة والحكمة منها وتنزيه ساحة الأنبياء، فهي أحد ركائز العقيدة:

**أ . معنى العصمة في اللغة والاصطلاح**

وهي لغة تعني المنع والمنعة والامتناع بالشيء واللجوء إليه، والتمسك والاستمساك والاحتماء به، وملازمته بعد طلبه وتحريه، كل ذلك إباء أو امتناعاً منعة وحفظاً للنفس من الوقوع في المحذور، كالغرق والجوع والمعصية والسقوط من الفرس والراحلة والضياع والابتلاء والفاحشة وغيرها من أفراد الشر التي تؤلم الشخص وتؤذيه.

هذا من طرف الشخص الطالب للعصمة وهو المعصوم أو المعتصم والمستعصم، وأما الشيء العاصم: فهو المدافع والمانع والمحامي والحافظ والموجب لعدم الوقوع في الشر والمحذور الذي يأباه الشخص المعصوم ويلتجأ بسببه إلى المانع والمحامي فيستأبى ويتمسك ويستمسك به طلباً للحماية والوقاية.

والعصمة الاعتصام بالله تعالى وهو اللجوء إلى لطفه سبحانه وتوفيقه، حيث يُهيأ تعالى بلطفه وتوفيقه ما يحفظ الشخص عن الشر وعن الوقوع في المعاصي والفواحش، هذا ما عليه علماء اللغة[1]، قال الفراهيدي: >**العصمة: أن يعصمك الله من الشر، أي يدفع عنك، واعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشر، واستعصمت أي أبيت، وأعصمت فلاناً: هيأت له ما يعتصم به، والغريق يعتصم بما تناله يده، أي: يلجأ إليه، والعصمة قلادة، ويجمع على أعصام**< [كتاب العين، ج١، ص٣١٣ .٣١٤].

وأما في الاصطلاح فالمشهور عن العدلية أنها لطف لا داعي معه إلى ترك الطاعة ولا إلى ارتكاب المعصيّة مع القدرة عليها، وعند الأشاعرة: >**أن لا يخلق الله فيهم ذنباً**< [المواقف، الإيجي، ج٣، ص٤٤٨].

وقال المحقق الجرجاني في التعريفات: >**العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها**< [التعريفات، ص٦٥].

**ب . أنواع العصمة**

إنّ عصمة الأنبياء على أقسام: الأول العصمة عن المعصية أي مخالفة الأوامر والنواهي الإلهية (الواجبات والمحرمات)، الثاني: العصمة عن الخطأ والنسيان في تلقي الوحي وتبليغه، الثالث العصمة عن الخطأ والنسيان في إجراء الأحكام الإلهية والقيام بالأعمال الفردية والاجتماعية

---

(١) قال الجوهري: >العصمة: المنع، يقال: عصمه، أي منعه من الجوع. والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فانعصم. واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه عن المعصية. وعم يعصم عصماً: اكتسب. واعصمت فلاناً إذا هيئت له في الرحل أو السرج ما يعتصم به لئلا يسقط، وأعصم إذا تشدّد واستمسك بشيء خوفاً من أن يصرعه فرسه أو راحلته، وكذلك اعتصم به واستعصم به، واعصم الرجل بصاحبه: لزمه< [الصحاح، ج٥، ص١٩٨٦]، وقال ابن منظور: >وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه... واعتصم فلان بالله إذا امتنع به، والعصمة الحفظ. واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية. واعتصم به واستعصم: امتنع وأبى< [لسان العرب، ج١٢ ص٤٠٣].

(السهو):

**النوع الأول: العصمة عن المعصية**

النوع الأول من العصمة هي العصمة عن المعصية، وقد عرّف بعض المتكلمين هذا النوع من العصمة على أساس مفهوم اللطف، قال الفاضل المقداد: >**العصمة عبارة عن لطف يفعله اللّه بالمكلف، بحيث لا يكون له [مع ذلك] داع إلى ترك الطاعة و لا إلى فعل المعصية، مع قدرته على ذلك**< [إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، ص٣٠١ . ٣٠٢].

ويستفاد من هذا التعريف أمرين:

أحدهما: أنّ المعصوم لا يرتكب المعصية؛ لانتفاء الدافع إلى ارتكابها، وعليه فالإنسان الذي لديه دافع للمعصية لكنه بسبب العوامل الخارجية أو عدم توفر الأرضية المناسبة يتوفق إلى عدم ارتكابها فهو ليس بمعصوم.

الآخر: انتفاء الملازمة بين العصمة عن الذنب والاختيار، فهذه العصمة لا تلازم سلب القدرة عن ارتكاب المعصية بل أنّ المعصوم مع قدرته على المعصية لا يرتكبها.

ومن هنا يتضح الفرق بين العصمة والعدالة؛ إذ أنّ العدالة ملكة اكتسابية تمنع صاحبها عن ارتكاب المعصية مع إمكان وقوعها منه، بخلاف العصمة فهي فضيلة موهوبة (ليست اكتسابية) إلهية تمنع صاحبها من المعصية مع عدم إمكان وقوعها منه امتناعاً ينسجم مع اختيار وقدرة المعصوم على ارتكاب المعصية[١].

والحاصل: أنّ العصمة من حيث المفهوم هي عبارة عن لطف وفضل إلهي يمنع صاحبه عن المعصية مطلقاً اختياراً مع القدرة، ولعله يمكن القول على أساس هذا التعريف أنّها فرع ودرجة من درجات التقوى، التي هي من لوازم العلم، لكنها درجة عالية جدّاً، بل أعلى درجات التقوى، فالإنسان المتقي تمنعه تقواه من ارتكاب الكثير من المعاصي، لكنه قد يصل إلى درجة بحيث لا يفكر إطلاقا في المعصية فضلاً عن ارتكبها، وهذه الدرجة يهبها الله تعالى لخاصة خلقه وفق شرائط وحكمة ربانية اقتضت ذلك.

**أقوال المتكلمين في عصمة الأنبياء عن الذنب**

اختلفت آراء الفرق الإسلامية في عصمة الأنبياء من الذنوب وتعيين حدودها وثغورها، أهمها:

أ . الإمامية: قالوا إنّ الأنبياء معصومون عن الصغائر والكبائر، منزهون عن المعاصي، قبل النبوة وبعدها، على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعة [تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، ص١٢٨، فصل في العصمة].

ب . المعتزلة: جوز بعض المعتزلة صدور الكبيرة من الأنبياء قبل البعثة وهو أبو علي الجبائي، ومنهم من لم يجوز ذلك لكنه جوّز عليهم الصغيرة إذا لم تكن منفّرة وهو القاضي عبد الجبار [شرح الأصول الخمسة، ٥٧٣ . ٥٧٥].

ج . الأشاعرة: منعوا الكبائر والصغائر الخسيسة بعد البعثة مطلقاً، والصغائر غير الخسيسة عمداً لا سهواً كما حكى ذلك القوشجي الأشعري عن محققيهم[٢] ، وجوزوا صدور الكبيرة عنهم قبل البعثة كما حكى ذلك صاحب المواقف عن جمهورهم[٣].

فهذه هي العصمة من حيث المفهوم والحقيقة والحد، وأمّا من حيث المصداق فالمعصومون عند الإمامية هم الأنبياء والأوصياء ومنهم فاطمة عليها السلام، وعند سائر المسلمين هم الأنبياء فقط، وبهذا يتضح أن الإمامية فقط من المسلمين نزهوا الأنبياء بشكل مطلق وقالوا بعصمة أوصيائهم المطلقة أيضاً.

---

(١) المقصود من (الامتناع) ليس هو (الامتناع الذاتي)؛ لأن وقوع المعصية من المعصوم بلحاظها أمر ممكن في ذاته بل المقصود هو (الامتناع بالغير) أو الامتناع الوقوعي يعني أن ارتكاب المعصية بلحاظ وجود العصمة أمر ممتنع، وبعبارة أوضح: أنّ ارتكاب المعصية من المعصوم محال وقوعي وإنْ كان أمراً ممكناً بذاته.

(٢) قال المحقق القوشجي الأشعري: >المذهب عن محققي الأشاعرة منع الكبائر والصغائر الخسيسة بعد البعثة مطلقاً، والصغائر غير الخسيسة عمداً لا سهواً< [شرح التجريد، ص٤٦٤].

(٣) قال الشريف الجرجاني الأشعري: >ان الجمهور لا يمنع أن يصدر عنهم كبيرة< [شرح المواقف، ج٨، ص٢٦٥، المقصد الخامس في عصمة الأنبياء].

**حقيقة العصمة عن الذنب**

إنّ الإنسان العادي غير المعصوم يعجز عن درك حقيقة العصمة كما يعجز الجبان عن درك حقيقة الشجاعة، لكن بالرغم من ذلك يستطيع من خلال التأمل في بعض حالاته النفسية بالنسبة لبعض المعاصي أن يدرك إلى حدٍّ ما ماهية العصمة ويتصورها بشكل واضح، فنجد كثيراً من الناس مقابل بعض المعاصي يتخذون موقفاً معصوماً يعني أنّهم تحت كلّ الظروف لا يقدمون على هذه المعصية كقتل الأبرياء مثلاً، فهناك من يرى القتل ذنباً عظيماً لا يرتكبه ولا يلطخ يديه بدم الأبرياء حتى لو كلفه ذلك فقدان حياته.

فهذه الحالة عند غير المعصوم تصدق بالنسبة لبعض الذنوب فقط بخلاف الإنسان المعصوم، فتصدق معه في كلّ ما نهى عنه المولى تعالى، ومن هنا يتضح أنّ الإنسان المعصوم بلطف الله تعالى وفضله وحكمته يكون في موضع لا يعصي مولاه تعالى مطلقاً عن علم وإرادة واختيار.

**العصمة عن الذنب ومبدأ الاختيار**

إن القول بعصمة الأنبياء لا ينافي القول بالاختيار؛ إذ أن عصمتهم عليهم السلام تعني أنهم بلغوا من العلم واليقين حداً لا تتقدح في نفوسهم الدواعي، فضلا عن فعلها، وهذا لا ينافي قدرة الإنسان على المعصية، كما أن الإنسان العادي الشريف معصوم عن بعض الأفعال القبيحة، ككشف العورة أمام الناس في الشارع، مع قدرته على ذلك، لكن لشدة قبحها في نظره لا ينقدح في نفسه الداعي لفعلها فضلا عن القيام بها.

وبعبارة أوضح: أنّ منشأ العصمة عن الذنب هو العلم والمشاهدة الحضورية لباطن الذنب وحقيقته وآثاره وعواقب خصوصاً مع الالتفات إلى ما تقدم من اختصاصهم بالعلم اللدّني، ولتوضيح وضع الإنسان المعصوم أمام الذنب يمكننا تصور الإنسان العادي أمام العطش، فلو كان هناك إنساناً غاية في العطش في جوٍ حار ووسط الصحراء القاحلة وأمامه كأس من الماء الزلال البارد المنعش الممزوج بالسم القاتل، فعلمه بالسم المهلك يمنعه من الإقدام أو التفكير بشرب الماء، فلا يوجد أي عامل يسلبه اختياره وقدرته لكن علمه اليقيني بالسم المهلك المميت هو الذي يمنعه من الإقدام تحت كلّ الظروف والشرائط على شرب الماء عن قدرة واختيار.

مضافاً إلى أنّ الإنسان المعصوم مستغرق في أوصاف جمال وكمال خالقه، ويشاهد بعين بصيرته حضور وإحاطة مولاه القيومية، فسكرة عشق مولاه ومحبته تمنعه من العمل بخلاف رضاه وارتكاب المعصية في حضوره.

**سمو مقام العصمة عن الذنب**

قد يتصور أنّ العصمة باعتبار أنها مقام موهوب وليس اكتسابياً ليس فيها أي فضل أو كمال للمعصوم، فلم يحرك ساكناً للوصول لهذا المقام ولم يتحمل عبئاً ولا مشقة، وعليه فكما لا فضل للشخص الجميل على القبيح في حسنه كذلك لا فضل للإنسان المعصوم على غير المعصوم في عصمته؛ لأنّ العصمة كالحسن أمر إلهي.

وحاصل الجواب عن هذا الإشكال: أنّ العصمة وإنْ كانت هبة إلهية لكن إعطائها مشروط بوجود الاستعداد واللياقة اللازمة للفرد، والمتيقن أن جزء من هذا الاستعداد يحصل بصورة اختيارية عن طريق المجاهدة والرياضة النفسية لشخص المعصوم، وبعبارة أُخرى: أنّ نيل هذه الهبة الإلهية مشروط بأمور وشرائط لازمة لا أنّ كلّ إنسان يستطيع الحصول عليها تحت أي شرط نفساني وروحي.

**أدلة العصمة عن الذنب**

أقام متكلموا الإمامية أدلة كثيرة من العقل والنقل (القرآن الكريم والسنة) على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنب مطلقاً، وسنشير باختصار هنا لجملة منها كالآتي:

**الدليل العقلي**

تقدم في بحث فوائد النبوة أنّ التربية والتزكية هي من جملة الغايات التي بعث لأجلها الأنبياء، وهذا الهدف لا يتحقق بشكل كامل إلا إذا كان النبي نفسه المثال العملي والعيني للتقوى والطهارة، فإذا فرضنا أن النبي مرتكب للفسوق والفجور والمعاصي فسيكون سبباً لتشجيع الناس إلى الرذيلة فضلاً عن فقدانه مقام المعلم الإلهي، وبكلمة أُخرى: أنّ التعاليم النظرية والموعظة والتشجيع والترهيب لهداية البشر وتزكية النفوس

لا تكون نافعة إلا إذا كان النبي عاملاً بما يدعو الناس إليه.

إنّ تجويز الذنب على النبي يدعو الناس إلى الرذيلة والانحراف فضلاً عن منافاته لغرض بعثت الأنبياء، وهذا الأمر لا يجتمع مع الحكمة الإلهية، وعليه فيجب أن يكون النبي مصوناً من كلّ ذنب، منزهاً عن كلّ عيب.

وهذا الدليل كما يثبت العصمة بعد البعثة كذلك يدل على العصمة قبل البعثة؛ لأنّ وجود النبي المنزه عن السوابق أكثر تأثيراً من غيره لتحصيل الأهداف التربوية الكاملة للبعثة.

مضافاً لذلك أقام متكلموا الإمامية براهين أُخرى على عصمة الأنبياء المطلقة، منها ما ذكره الخواجة الطوسي في التجريد، قال: >**ويجب في النّبيّ العصمة؛ ليحصل الوثوق، فيحصل الغرض. ولوجوب متابعته، وضدّها. وللإنكار عليه**< [تجريد الاعتقاد، ص ٢١٣، صفات النبي].

فقد أشار الخواجة الطوسي في هذه العبارة المختصرة إلى ثلاث أدلة، هي:

أولاً: حصول غرض الأنبياء إنما يتحقق في ظل وثوق الناس بشخص النبي والحال أن المعصية تسلب منهم ثقة الناس وهذا نجر إلى نقض الغرض؛ إذ أن غرض البعثة هو هداية الناس.

ثانياً: أنّ معصية الأنبياء توجب متابعة الناس لهم؛ لأنهم مأمورون بطاعتهم، ومن جهة أُخرى يجب عليهم الترك؛ لنهي المولى تعالى عنه، والحال أنّ الجمع بين الضدين (فعل العمل الواحد وتركه) ممتنع.

ثالثاً: أنّ النهي عن المنكر من التكاليف المهمة التي أُمر بها الناس، فيجب نهي النبي إذا ارتكب المعصية، لكن هذا النهي يوجب أذاه، وهو حرام، وعليه فتجويز المعصية على النبي يوجب كون الأمر الواحد (النهي عن المنكر) واجب وحرام في آن واحد !!

**الدليل النقلي**

دلّ القرآن الكريم على عصمة الأنبياء من المعصية مطلقاً في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: **{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}** [الانعام/ ٩٠]، حيث يدل على عصمتهم مطلقاً؛ إذ جميعهم كتب عليهم الهداية، وقد قال تعالى: **{وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ}** [الزمر/ ٦٦ . ٦٧]، وقال تعالى: **{مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ}** [الاسراء/ ٩٧]، فنفى تعالى عن المهتدين بهدايته كل مضل يؤثر فيهم بضلال، فلا يوجد فيهم ضلال، وكل معصية ضلال كما يشير إليه قوله تعالى: **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ. عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا}** [ يس/ ٦٢.٦٠]، فعدّ تعالى كل معصية ضلالاً حاصلاً بإضلال الشيطان بعدما عدّها عبادة للشيطان.

فإثبات هدايته تعالى في حق الأنبياء، ثم نفي الضلال عمن اهتدى بهداه، ثم عد كلّ معصية ضلالاً، تبرئة منه تعالى لساحة أنبيائه عن صدور المعصية منهم وكذا عن وقوع الخطأ في فهمهم الوحي وإبلاغهم إياه.

ودلت كذلك الروايات العديدة المروية من طرق أئمة أهل البيت على عصمة الأنبياء عن المعاصي مطلقاً، فقد روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق، قال: >**المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: {ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم}**< [معاني الأخبار، ص١٣٢].

**النوع الثاني: العصمة عن الخطأ والنسيان في تلقي الوحي وتبليغه**

النوع الثاني من عصمة الأنبياء هو عصمتهم في تلقي الوحي وإبلاغه، وهذا النوع من العصمة بخلاف النوع الأول محل اتفاق بين متكلمي المسلمين(١).

وأهم أدلة هذا النوع من عصمة الأنبياء هو أنّ خطأ النبي في تلقي الوحي أو إبلاغه يكون سبباً في عدم تمام الرسالة وبالنتيجة يُنقض الغرض من البعثة، مضافاً لذلك إذا أخطأ النبي في تلقي الوحي أو إبلاغه ولو في مورد واحد فسيفقد ثقته واعتماده في سائر الموارد؛ لأنّ

---

(١) لم يخالف في ذلك أحد من المتكلمين إلا أبو بكر الباقلاني حيث جوز السهو (الخطأ غير العمدي) في إبلاغ الرسالة، فانظر: [شرح المقاصد، التفتازاني، ج٥، ص٤٩ و ٥٠].

الناس ستحتمل الخطأ في كلّ شئ يطرحه لهم بعنوان الوحي، ومع هذا الاحتمال لا يمكن الاعتماد على كلامه وتعاليمه، وبالنتيجة لا تتم الحجة على الناس ولا حصل الغرض من البعثة، وعليه تُوجب الحكمة الإلهية عصمة المولى تعالى أنبيائه من أي خطأ وسهو في تلقي الوحي وإبلاغه حتى تصل رسالته تعالى بدون نقص إلى الإنسان.

وقد نصّت الآيات الكريمة أيضاً على هذا النوع من العصمة:

منها: قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}** [النساء/ ٦٤]، حيث جعل تعالى كون الرسول مطاعاً غاية للإرسال، وقصر الغاية فيه، وذلك يستدعي بالملازمة البينة تعلّق إرادته تعالى بكل ما يطاع فيه الرسول وهو قوله وفعله؛ لأن كلاً منهما وسيلة معمولة متداولة في التبليغ، فلو تحقق من الرسول خطأ في فهم الوحي أو في التبليغ كان ذلك إرادة منه تعالى للباطل، والله سبحانه لا يريد إلاّ الحق.

ومنها: قوله تعالى: **{فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ}** [ البقرة/ ٢١٣]، وهذه الآية من جملة الآيات الدالة على العصمة في تلقي الوحي، وهي ظاهرة في أنّه تعالى إنّما بعثهم بالتبشير والإنذار وإنزال الكتب .وهذا هو الوحي . ليبينوا للناس الحق في الاعتقاد والحق في العمل، وبعبارة أخرى: لأجل هداية الناس إلى حق الاعتقاد وحق العمل، وهذا هو غرضه تعالى من بعثهم، والله تعالى لا يضل في فعله ولا يخطئ في شأنه، قال تعالى: **{لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى}** [طه/ ٥٢].

فإذا أراد الله تعالى شيئاً فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ، وإذا سلك بفعل إلى غاية فلا يضل في سلوكه، وكيف لا وبيده الخلق والأمر وله الملك والحكم، وقد بعث تعالى الأنبياء بالوحي إليهم وتفهيمهم معارف الدين ولابد أن يكون، وأيضاً بعثهم بالرسالة لتبليغها للناس ولابد أن يكون، قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}** [الطلاق/ ٣]، وقال تعالى: **{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}** [يوسف/ ٢١].

ومنها: قوله تعالى: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}** [النجم/ ٣ . ٤]، فالآيتان الكريمتان نصّ في الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لا يأتي مطلقاً بكلام نتيجة الهوى والهوس بل كل ما ينطق به فهو وحي إلهي، ولازم ذلك أنّ النبي الكريم مصون من الخطأ في تلقي الوحي وإبلاغه مطلقاً؛ إذ لو أخطأ ولو مرة واحدة فلن تصدق تلك الآيات الكريمة، وهذه الآية الكريمة خاصة بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

**النوع الثالث: العصمة عن الخطأ والسهو**

النوع الثالث من عصمة الأنبياء هو عصمتهم عن الخطأ والنسيان في أداء التكاليف الدينية وتطبيق القوانين الشرعية في الأمور الخاصة وأيضاً عصمتهم عن الخطأ في كلّ الأعمال الفردية والاجتماعية، وهذا النوع من العصمة لها فروع كثيرة، والحائز على هذا النوع من العصمة لا يخطأ أبداً في تكاليفه الشرعية ولا ينسى ولا يشك مطلقاً، وإذا حكم في قضية ما فحكمه صحيح دائماً ولا يمكن أن يخطأ في حكمه بطريق الخطأ أبداً، وهو على صواب في محاسباته وتقديراته وأحكامه الشخصية دائماً.

وقد اختلف المتكلمون في إثبات هذا النوع من العصمة للأنبياء، فقد أثبتها لهم جمهور علماء الإمامية وأنكرها غيرهم(١).

والدليل على هذا النوع من العصمة أنّ تحقق الهدف الكامل من بعثت الأنبياء منوط بثقة الناس الكاملة بهم، فلو أخطأ الأنبياء في المجالات الخارجة عن تلق الوحي وإبلاغه فهذا الأمر حتى لو لم يؤثر في إبلاغ الرسالة بشكل مباشر لكن له عواقب سيئة في اعتماد الناس وثقتهم به، فإذا شاهد عموم الناس منه الخطأ والسهو في تطبيق القوانين والأحكام الدينية أو الأمور الفردية والاجتماعية فسيشكون في عصمته في إبلاغ الرسالة أيضاً، وهذا الشك والترديد يتقاطع مع الغاية المطلوبة من بعثة الأنبياء، وعليه فإنّ بلوغ أهداف النبوة منوط بالثقة الكاملة بالأنبياء بين الناس؛ إذ أنّ انتفاء الثقة بهم في أمر سيؤدي إلى سلب الثقة عنهم في سائر الأمور الأخرى، وبالنتيجة فلا تتم الحجة على الناس.

---

(١) نفى هذا النوع من العصمة بعض الإمامية أيضاً، أبرزهم الشيخ الصدوق والشيخ الطبرسي على ما حكاه عنهم الشيخ السبحاني، فانظر: [الإلهيات على هدى القرآن والسنة، ج٣، ص٢٠٣، ٢٠٤].

وهناك شواهد من القرآن الكريم على هذا النوع من العصمة، منها قوله تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}** [النساء/ ١١٣].

هذه الآية الكريمة تحكي قضاء النبي في مورد نزاع حيث يسعى أحد الطرفين من خلال كسب تعاطف النبي إلى إضلاله حتى يحكم بالباطل لصالحه، لكن مع الالتفات لشأن نزول الآية الكريمة يظهر أنّ الله تعالى قد عصم بفضله الخاص ورحمته نبيه من الخطأ في الحكم.

ومن الواضح أنّ القضاء الصحيح يعتمد على أمرين: أحدهما المعرفة الكاملة بالأحكام والقوانين الشرعية، والآخر المعرفة الكاملة بشرائط وخصوصيات القضية مورد اختلاف الطرفين والتي يراد إصدار الحكم فيها، وعلى هذا الأساس يظهر أنّ قوله تعالى: **{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}** يبين معرفة النبي من طريق القرآن والحكمة بالأحكام الكلّية الإلهية، كما أنّ قوله تعالى: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} يبين حقيقة مفادها أنّ الله تعالى بيّن لنبيه شرائط وخصوصيات القضية التي هي مورد النزاع بنحوٍ أنّ النبي لولا هذا البيان الإلهي لما علم بحقيقة النزاع، وعليه يتضح أن النبي بالاعتماد على علمه بالأحكام الكلية الإلهية ومعرفته الكاملة بخصوصيات القضية التي هي مورد النزاع استطاع أن يحكم بشكل عادل وصحيح، وعصم عن الخطأ في تطبيق الأحكام على مصادقيها بفضل الله تعالى ورحمته الخاصة كما يشير إليه قوله تعالى: **{وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}**.

**مصادر البحث**


١ . إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، الفاضل المقداد، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة السيد المرعشي، ط ١، ١٤٠٥ هـ . قم . إيران.

٢ . الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق، ط١، ١٤٠٧هـ، قم . إيران.

٣ . أوائل المقالات في المذاهب المختارات، الشيخ المفيد، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ . بيروت.

٤ . تجريد الاعتقاد، أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن المشهور بالخواجة نصير الدين الطوسي (٥٩٧ . ٦٧٢ هـ )، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥ . تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين درگاهي، الناشر: دار المفيد، ط٢، ١٤١٤هـ . بيروت.

٦ . التعريفات، السيد الشريف الجرجاني علي بن محمد، المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٠٦هـ . القاهرة.

٧ . التوحيد، أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق (ت/ ٣٨١هـ)، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم . ايران.

٨ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

٩ . شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: د . عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ، ١٣٨٤هـ . القاهرة.

١٠ . شرح تجريد العقائد، علاء الدين علي بن محمّد القوشجي، الطبعة الحجرية، سنة الطبع: ١٢٨٥هـ.

١١ . شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، الناشر: دار المعارف النعمانية، ط١، سنة الطبع: ١٤٠١هـ . باكستان.

١٢ . شرح المواقف، الشريف علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: علي بن محمد الجرجاني، المطبعة : مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٥هـ . مصر.

١٣ . الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ . بيروت.

١٤ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المشهور بالشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر : دار الكتب الإسلامية، ط٥، ١٣٦٣ ش . طهران.

١ . كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ١٠٠ . ١٧٥ هـ )، مؤسسة الأعلمي، ط ١٤٠٨ هـ . بيروت.

١٦ . لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ، الناشر: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ . قم . ايران.

١٧ . معاني الأخبار، ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

١٨ . المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، دار المعرفة . بيروت.

١٩ . المواقف، القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٥هـ . مصر.

٢٠ . الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية . قم . إيران.